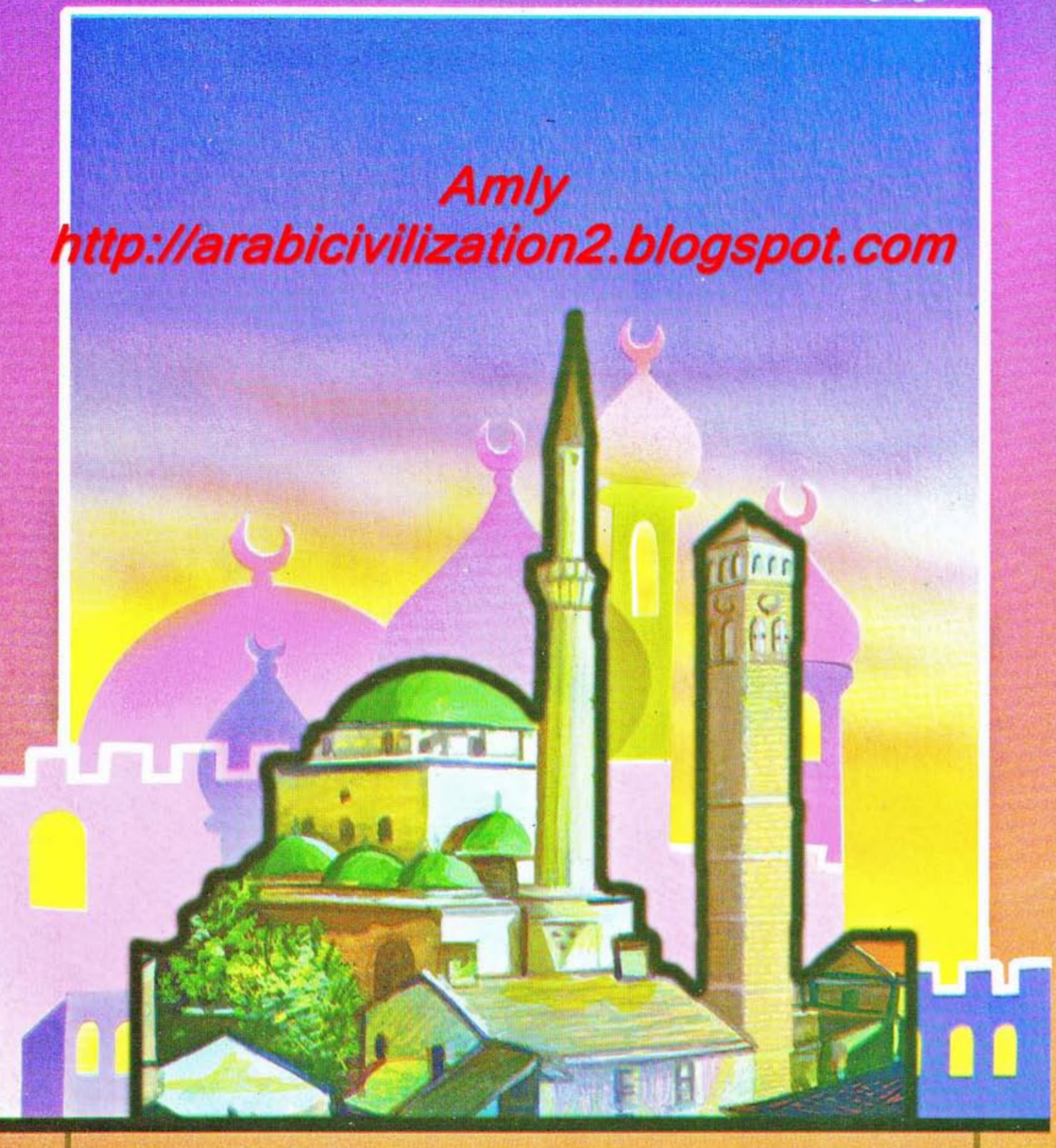
مدائن إسلامية (٦)
من سن ٨ : ١٢



سراييڤو

أحمد سويلم

سفير

مدائن إسلامية

(٦)



أحمد سويلم

رسوم
سعيد عمرى

سمع الطفل زهيروفيتش من أبيه أن وفداً من لجنة الإغاثة الإنسانية سوف يزور المخيم فى صباح الغد ، ويتحدث مع الأطفال والرجال والنساء الذين طردوا وأقاموا فى هذا العراء .

سأل زهيروفيتش أباه فى ألم :

– ماذا لدينا يا أبى لنقدمه للوفد ؟

قال الأب : أعرف يا ولدى أننا نعانى الجوع والمرض والفقر والطرد والاضطهاد ، والعالم يعرف عنا ذلك كله . وأغلب الظن أن الضمير الإنسانى قد بدأ يتيقظ فى بعض مناطق العالم، ولهذا سيزورنا هذا الوفد غداً ، ويقدم بعض الإعانات .

قال زهير : أريد أن أشارك فى استقبال الوفد يا أبى .

ربت الأب على ظهر ولده وقال :

– طبعًا طبعًا يا ولدى ، فقد جاء الوفد خصيصًا للأطفال قبل الكبار .

مرت الساعات على صديقنا زهيروفيتش ، وهو يحدث نفسه بما سوف يقوله للوفد عندما يأتى إليهم فى الصباح .. لابد أن كل أفراده – إن لم يكن معظمهم – لم يروا سراييفو الجميلة قبل أن يلحقها هذا الدمار .. إنه يريد أن يقول الكثير ، وأن يبرز لهم إصابته فى يده دليلا على الوحشية التى انهالت عليهم أخيراً .

ومن حسن الحظ أن صاحبنا زهيروفيتش كان من هواة القراءة والرحلات والتعرف على الآثار ، وهو يحتفظ بالكتب والنشرات ، وبعض قصاصات من الصحف التى تدين العدوان .

إنه يفكر فى عرض هذا كله على الوفد ؛ ليعرفوا إلى أى حد وصل الحال بسراييفو اليوم.

لابد أن يعرفوا سراييفو التى كانت بالأمس عروسًا جميلة .. واليوم هى تلبس ثوب الحداد الأسود على أطفالها ونسائها ورجالها وشيوخها الأبرياء .

قام زهير ليؤدى صلاة العصر .. ثم دعا الله أن يكون معه فى صباح الغد ليشارك مع الكبار فى إيقاظ ضمير الإنسانية عن طريق ما يقدمه لوفد لجنة الإغاثة الإنسانية . ويدخل



بعض مباني سراييفو

عليه أبوه وفى يده بقايا صحيفة ، وصلت إليه بصعوبة ، وقال : أرأيت يا ولدى ؟

قال زهيروفيتش : ماذا يا أبى ؟

– سأقرأ لك هذا الخبر ، ولا بد أنك ستسعد به ، يقول الخبر :

ستقوم منظمة «سفارة الأطفال الإنسانية» بترشيح أطفال البوسنة لجائزة نوبل للسلام هذا العام ، بعد أن نجحت المنظمة فى إجلاء مائة ألف طفل من سرايیفو ، وسوف يسافر سكرتير عام المنظمة من مقر المنظمة فى مدريد إلى السويد ليقدم هذا الترشيح إنها بداية طيبة يا ولدى.

قال زهير : الجائزة يا أبى أن يعيدوا إلينا سرايیفو كما كانت جميلة .

أخذ رجال المخيم يستعدون للقاء الوفد فى صباح الغد .

يعرف زهير أن هذا المخيم الكبير يضم بعض أئمة مساجد المسلمين وبعضا من رجال التعليم فى تخصصات مختلفة ، ويضم أيضًا عددًا كبيرًا من الشباب الذى استطاع فى وقت قصير أن يجعل هذا المخيم مكانًا لائقًا بالحياة بعد أن بذل جهدًا كبيراً فى إقامته ونظافته .

وفى ساحة المخيم التى أعدت للقاء الصباح ، سهر الشباب على إعدادها .

وفى الساعة العاشرة صباحًا وصل الوفد .. وكان على رأسه الدكتور أشرف ، الذى كان يعرف اللغة الصربيكرواتية التى تعلمها منذ أن كان يعمل فى السلك الدبلوماسى فى السفارة المصرية فى يوغسلافيا .

ويجلس الجميع على الأرض فى حلقة مستديرة ، ويقوم الشيخ سليمان – وهو من أكبر أئمة المسلمين فى سرايیفو – ويرحب بأعضاء الوفد ، ثم يقدم الدكتور «عزت» وهو أحد المؤرخين الذين كتبوا كثيراً فى تاريخ المنطقة .

قال د. عزت : ما أشبه اليوم بالبارحة ، مع اختلاف الهدف ، لقد كانت سرايیفو دائمًا مطمعًا للغزاة . يدل على ذلك تاريخها الطويل .

نحن هنا لنحكى لكم عن سرايیفو العروس الجميلة التى تبكى اليوم على نفسها وعلى



مكان الوضوء في مسجد غازي خسرو بك

أبنائها الشهداء .

قال أحد أعضاء الوفد :

– نرجو أن تعطينا لمحة تاريخية عن البوسنة والهرسك ووضعها فى الاتحاد اليوغسلافى .

وهنا أحضر الدكتور عزت خريطة عامة ليوغسلافيا ، وأمسك بعصا طويلة ، وأخذ يشرح على الخريطة قائلا : يتكون الاتحاد اليوغسلافى من جمهوريات «صربيا» ، «كرواتيا»، «سلوفينيا» ، «البوسنة والهرسك» ، «مقدونيا» ، «الجبل الأسود» .

ويحد يوغسلافيا من الشمال النمسا والمجر، ومن الشرق رومانيا ، ومن الجنوب اليونان وألبانيا ، ومن الغرب «البحر الإدرياتى» .

وتقع جمهورية البوسنة والهرسك فى منتصف يوغسلافيا .. حيث تقع كرواتيا فى شمالها والصرب فى شرقها ، والجبل الأسود فى جنوبها .

ولنعد معًا إلى التاريخ : لقد قام السلطان «محمد الفاتح» بفتح القسطنطينية فى عام (٨٥٧هـ = ١٤٥٣م) وظل يواصل فتوحاته ، فهزم الصرب وضمها إلى الدولة العثمانية عام (٨٧٣هـ = ١٤٦٨م) ، ثم فتح الهرسك عام (٨٨٦ هـ = ١٤٨١م) ، ثم ضم كرواتيا وبعض المناطق الأخرى .

ثم هاجمت النمسا كرواتيا من الشمال فى أوائل القرن السابع عشر ؛ فهاجر كثير من المسلمين إلى الأناضول وغيرها ؛ هرباً من الاضطهاد النمساوى والمجرى ومحاولات التنصير.

وفى عام (١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م) تأسست يوغسلافيا بعد أن تخلصت من الاستعمار النمساوى ، وتأسس الحزب الإسلامى اليوغسلافى بزعامة الدكتور «محمد سباهو» .

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية ، جرت مذابح كبيرة للمسلمين . ساهم فيها الأرثوذكس والكاثوليك فقتل نحو ٢٥٥ ألف مسلم .

أما سرايیفو ، فهى عاصمة البوسنة والهرسك ، وكانت تسمى «سراى بوسنة » لكن «الصرب» حولوها إلى «سراى ايفو» نسبة إلى أحد قواد الصرب .



قباب مسجد خسرو بك

ولقد تعرضت البوسنة والهرسك لعدوان متكرر من الخارج والداخل من أجل القضاء على وحدة البلاد ، وعلى الديانة الإسلامية ، وها هى آثار آخر هذه الغزوات : القتل والدمار واليأس والاضطهاد . وليس لنا إلا الله ثم الذين يناصرون دين الإسلام ، حتى لقد أطلق على سراييڤو اليوم : دار الجهاد ، ومهد المجاهدين والمنتصرين ، ومدينة سراييڤو المحروسة .

إن سراييڤو – أيها الأصدقاء – هى زهرة المدائن بين المدن الإسلامية .

رفع صاحبنا (زهيروفيتش) يده الصغيرة يريد الكلام فأذن له ، قال زهير :

– أتحدث إليكم باسم الأطفال أصحاب الغد ، أطفال سراييڤو أطفال البوسنة والهرسك، أطفال الجهاد فى كل مكان .

انظروا ماذا حدث لى ، إننى فقدت كفى اليسرى فقد أصيبت ذراعى بإحدى طلقات الرصاص الوحشية ، وكان لابد أن تبتر كفى ، وأعيش لأناضل من أجل العقيدة .

لا أريد أن أحكى لكم عما يعانيه الأطفال مثلى من القتل والتشرد ، وعما يحدث لأمهاتنا وأخواتنا ، إنه دليل على موت الضمير الإنسانى !

يكفى – أيها الكبار – أن أذكركم بما جرى للزعيم «عزت بيجوفيتش» رئيس البوسنة والهرسك ، لقد قبض عليه بسبب إصداره كتاباً يتحدث فيه عن الإسلام ، وكانت تهمته قلب نظام الحكم ، تصوروا وكادوا ينفذون فيه حكم الإعدام فى عام (١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م) .

إلى هذا الحد يكون عقاب من يعلن أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ .

باسم الأطفال .. وباسم سراييڤو أناشد العالم كله الوقوف فى وجه العدوان .

وكان الوفد قد حصل على تصريح بالتجوال فى مدينة سراييڤو ومعه المرافق الدكتور عزت المتخصص فى تاريخ المنطقة وبعض المتخصصين المرافقين .

ويقف الوفد على قمة الجبل ليرى عن بعد آثار الدماء والدخان والقتل والخراب .

حاول الدكتور عزت أن يتماسك وهو يتحدث : كما ترون أيها الضيوف .. تقع



مسجد علي باشا

سرايڤو على نهر ميلاتسكا الذى يشقها من الشرق إلى الغرب كما ترون .

والمنطقة ترتفع عن سطح البحر بنحو خمسمائة متر ، وتقع على فتحة معبر جبلى ضيق منيع كما ترون .. وجدران المعبر مكونة من الجبال الشامخة السوداء التى تؤدى إلى سهول خصبة تحتضن المدينة .

قال أحد الأعضاء : لاحظت ونحن نصعد إلى المرتفعات أنها تضيق شيئًا فشيئًا .. وأن عليها حصونًا قديمة وحدائق وأشجاراً مثمرة ، ومقابر إسلامية .

قال الدكتور عزت : هذا صحيح ، وهذا سر جمال سرايڤو وسر مطمع أعدائها ، إنها تجمع بين التاريخ القديم والتاريخ المعاصر فى مشهد واحد .

نحن من هنا نستطيع أن نشاهد الحى الإسلامى والحى الحديث ، ويذكرنا الحى الإسلامى بالقاهرة القديمة ، الشوارع الضيقة ، الأسواق المغطاة ، الحرف الدقيقة الفنية ، المساجد تعلو مآذنها باسم الله ، ويعود إنشاء هذا الحى إلى العصر العثمانى .

ونلاحظ أن بيوت الحى الشرقى على شكل أصداف متوازية موحدة ، كما نلاحظ هذه الوحدة الهندسية المعمارية .

سأل أحد أعضاء الوفد : وبماذا يتميز البيت الإسلامى ؟

قال الدكتور عزت : هو بيت بسيط نظيف متسع .. فيه فناء للرجال .. وساحة أخرى للنساء ، وتحيط به الأشجار والحدائق ، إن اللون الأخضر هنا يوحى بالسلام ، لكنه الآن – كما ترون – أصبح ذابلا يبكى هذه الروح الطيبة المفتقدة .

إن كثيراً من المدارس اليوم قد دمرت ، فبعض منها كان يدرس الدين الإسلامى ، أما البعض الآخر فقد كان يحارب الإسلام .

رفع صاحبنا زهيروفيتش يده طالبًا التعقيب : معى أيها الضيوف الأعزاء وثيقة عجيبة حقًا ، اسمحوا لى أن أقرأ لكم شيئا منها .

أخرج زهير ورقة من كتاب ، وأخذ يقرأ :

هذا جزء من ملحمة شعرية تسمى إكليل الجبل ، تدرس فى المدارس الإبتدائية غير



مدينة سرايڤو من جهة الشرق

المسلمة ، وفيها جاءت هذه الكلمات :

«سلك المسلمون طريق الشيطان ودنسوا الأرض ، ملأوها رجسا . فلتعد للأرض خصوبتها .. وليسقط رأس كل من يؤمن بهذا الدين ويتبع محمداً» .

توقف زهير ، وخيم صمت عميق على كل الحضور ، فأراد الدكتور عزت أن يحول الضيوف إلى سراييڤو من جديد . فقال :

– فى القرن السابع عشر كانت سرايیڤو قد اكتملت واتسعت ، وضمت أكثر من مائة مسجد ، ومرافق عامة كثيرة ، وحمامات وأسواقًا مسقوفة ، ولا يزال الكثير من هذه الآثار باقيًا حتى اليوم متحديًا أيدى العبث والتدمير .

وكما ترون ، يقابل الحى الشرقى هذا الحى الحديث بناطحات السحاب ، وشوارعه المتسعة ، وسياراته الكثيرة ، وكل الوسائل العصرية .

ويطلب الوفد أن يطوف بما تبقى من آثار سرايیڤو ، وتهبط السيارات إلى قلب سرايیڤو، ورائحة الموت والدمار تزكم الأنوف ، وتوقف الوفد أمام قلعة شيرو ـ كاتس ويحكى الدكتور عزت :

– ظاهرة القلاع هنا لافتة للنظر ، فقد أقامها سكان سرايیڤو ؛ ليقاوموا منها القوات النمساوية والهنجارية التى اعتادت على الغزو والانتقام من المسلمين .

من ذلك قلعة بلوجا ، ومنها أيضًا قلعة فيشغراد فى شرق سرايیڤو ، ومنها هذه القلعة التى نقف أمامها وهى قلعة شرو ـ كاتس ، ونستطيع أن نرى بقايا السور الذى يحيط بها والذى بدئ فى إنشائه عام (١١٤٠هـ = ١٧٢٧م) وكان له عدة بوابات صغيرة وكبيرة .

ويحكى تاريخ هذا السور أن البنائين كانوا يستخدمون البيض واللبن والملح لإعداد مونة البناء .. كما وضعت فى السور طابيات وشواهد لا تزال باقية على قبورها كما نرى .

وينتقل الوفد إلى «برج الساعة» .. وهو بناء طولى مرتفع مربع .. فى أعلىٰ كل ضلع ساعة تدق فى مواعيدها ، وقد أنشئ هذا البرج فى أوائل القرن السابع عشر ، وهو مبنى من الحجر ، وارتفاعه يبلغ ثلاثين متراً .



برج الساعة (سراييفو)

وتطاول هذا البرج مئذنة تعلو مسجد ومدرسة «خسروبيك» الذى أنشأ هذه المجموعة فى عام (٩٤١هـ = ١٥٣٤م) وهى تشبه إلى حد كبير مدرستى السلطان حسن، والسلطان الغورى بالقاهرة القديمة .

ويطوف الوفد بأهم الآثار الإسلامية الأخرى بسراييڤو :

– جامع «فرحات فوكوفيتش» – والى البوسنة والهرسك – وقد أنشئ هذا الجامع فى عام (٩٧٤هـ = ١٥٦٦م) أثناء ولايته .

– مسجد على باشا الذى أنشئ عام (٩٦٨ هـ = ١٥٦١م) وقد لاحظ الوفد آثار تدمير قديمة فى أحد جوانبه . وهنا علق الدكتور عزت :

فى أغسطس عام (١٢٩٥هـ = ١٨٧٨م) اندلعت معركة ضارية بين القوات النمساوية الهنجارية والمقاومة الشعبية فى سراييڤو ، وكانوا يطلقون نيران البنادق على النمساويين من داخل البيوت ومن داخل هذا المسجد ، كما شاركت النساء فى المقاومة من فوق المسجد ، ومن المئذنة ، وأجهدت المقاومة الشعبية القوات النمساوية ، إلى أن تمكن النمساويون بصعوبة من صعود المئذنة وسطح المسجد والانتقام من النسوة والجنود بعد معركة شرسة بين الطرفين.

إنها روح المقاومة التى واجهت الغضب والحقد على الإسلام والمسلمين !

ثم زار الوفد مؤسسة الأوقاف الإسلامية العريقة ، وهى أثر قديم ، وقدنجحت كثيراً فى إقامة المرافق العامة وبيوت الضيافة لعابرى السبيل والفقراء وصيانة ينابيع المياه وغيرها .

– ثم طاف الوفد بمسجدى «علاء باشا» و«أمين باشا» وقد نُهبت آثارهما من الكتب والمصاحف القديمة التى تعود إلى العصر العثمانى والتى لا تقدر بثمن .

– ومسجد «كاراجور» الذى أقيم فى القرن الخامس عشر .

ويسأل أحد أعضاء الوفد عن دستور يوغسلافيا ، ماذا يقول فى حرية الأديان ؟

وتعطى الإجابة للدكتور «ياسين» أحد رجال القانون فى يوغسلافيا :

– إن حرية العقيدة مكفولة فى الدستور اليوغسلافى ، لكن كيف يحترم الدستور أمام

القوة الجاهلة ؟!

ويواصل عضو الوفد تساؤله : إذن ماذا عن الطائفة الإسلامية ومؤسساتها ؟

قال الدكتور ياسين : للطائفة الإسلامية هيئات ومؤسسات منها : لجان الفتوى والمجلس الأعلى لرجال الدين المسلمين ورئيس العلماء ، ومقره سراييفو. وللمسلمين كلية دينية ومدارس متوسطة ومدرسة للبنات – ضمن مجموعة (غازى حصرى بك) – ومركز للنشر الرئيسى ، حيث تصدر مجلة (غلاسنيك) – الناطقة بلسان المسلمين – وصحيفة (بريبورد) التى تصدر مرتين فى الشهر و(إسلامكاميساو) وهى مجلة علمية .. (وزمزم) للأطفال .. وبعض النشرات الأخرى .. كما أن للمساجد دورها الكبير فى ترسيخ العقيدة الإسلامية .

ويزور الوفد الحى الحديث فى سراييفو ، إنه الآن قد عانى التدمير أيضاً لكن بصورة أقل من الحى الإسلامى .

ويضم الحى الحديث متحفاً للفنون الحديثة أنشئ عام (١٣٦٥هـ = ١٩٤٦م) وافتتح (١٣٧٩هـ = ١٩٥٩م) ويضم أكثر من (٢٥٠٠) قطعة ولوحة فنية ، ومكتبة المدينة الكبيرة .

وقد طاف الوفد بآثار التدمير ، فى كل مكان وآثار النهب والسلب لصناعات الذهب والفضة والبلاتين ، والأحجار الكريمة التى اشتهرت بها سراييفو .

ثم وجد الوفد نفسه أمام أقدم مسجد فى سراييفو ، إنه مسجد مؤسس المدينة «عيسى بك إسحاقوفتش » والذى يعانى الدمار والخراب والسلب أيضاً .

ويعود الوفد ، ليسجل تاريخ هذه المدينة المنكوبة مدينة سراييفو زهرة المدائن التى ذبلت، عروس المدائن التى تلبس الحداد .

ويذيل الوفد هذا التاريخ المأساوى بنداء صارخ إلى العالم الإسلامى بإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الأرواح والآثار الإسلامية ، والحضارة القديمة التى لا تزال تطل فى أسى وحزن من بين الخراب والدمار .

هذه المدينة

أيقتلون من يقول : ربىَ الرحمان
أيذبحون من دعا بالخير للإنسان
رعاك ربى يا مدينة السلام والأمان
حماك ربى دائماً من عصبة الشيطان
فلْيقتلوا .. ولْيذبحوا ..وليهدموا الأركان
لن يستطيعوا قتل صوت الحق فى الأذان
يعلو المنارات التى تعلو على الطغيان
لن يستطيعوا محو ما يأتى به القرآن
لأنه بين الصدور النور والفرقان
فليقتلوا .. وليذبحوا .. وليعلنوا العدوان
فالأرض والسماء تشهدان .. تبصران
أنك يا مدينتى من أعظم الأوطان

رقم الإيداع : ٩٣/٩٢٣٣
الترقيم الدولى : 977-261-264-X

كان الإسلام -ولايزال- ضوءاً ساط
بالهدى والعلم والحضارة والتقدم
وحيثما كان يهبط هذا الضوء تُقام المآذ
ويرتفع صوت الإيمان بالتهليل والتكبي
ويرتفع الحق شامخاً فوق الباطل .
وهذه بعض المدائن الإسلامية التى لعبت
دوراً تاريخيا فى انتشار الإسلام وتأكي
قيمه وإعلاء كلمته نقدمها اليوم إل
الناشئة لتعرف هذه الملامح الخالد
لحضارة الإسلام .

اقرأ فى هذه السلسلة :

١ - مكة المكرمة	٥ - القيرو
٢ - المدينة المنورة	٦ - سرايف
٣ - القدس	٧ - استانبو
٤ - الفسطاط	٨ - غرناط

سفير ٥ ش جزيرة العرب -المهندسين - القاهرة
ت : ٣٣٥٣٧١١-٣٣٥٣٧١٢- فاكس : ٣٤٨٠٢٩٩ ص.ب:٤٢٥ الدقى